الشاعر والسوقة

مسرحية نثرية
من فصل واحد

بقلم : نوال مهنى ● - مصر

المشهد الأول :

(بوابة كبيرة تؤدي إلى السوق - يقف أمامها منظم ومعه بعض الفتيان لحفظ الأمن وتنظيم الدخول والخروج - والناس يدخلون ويخرجون حاملين بضائعهم وسلعهم .. يتقدم رجل إلى الباب يبدو عليه الهدوء والبساطة والثقة بالنفس ، يهم بالدخول فيتصدى له المنظم ويستوقفه ويسأله)

الشاعر : السلام عليكم ورحمة الله .

المنظم : وعليكم - إلى أين يا رجل .

الشاعر : إلى السوق طبعاً .

المنظم : وماذا تفعل بالسوق ؟

الشاعر : مثلما يفعل كل من بالسوق .

المنظم : من بالسوق يبيعون ويشترون .

الشاعر : وأنا أيضاً سأبيع وأشتري .

المنظم : ولكن لا أرى معك شيئاً .

الشاعر : بل معي أشياء كثيرة ولكنك لا تراها .

المنظم : (ساخراً) أشياء كثيرة ولا تُرى ؟ لعلك ألبست بضاعتك طاقية الإخفاء !!!

الشاعر : ربما .

المنظم : ربما !!! قف مكانك يا رجل ، لابد أنك ساحر أو مجنون أو لص - أو .. أو - يا .. يا غلام .

- (يتقدم شاب قوي البنية صارم الملامح) .

سوقي : أتنادي عليّ ؟

المنظم : خذ هذا الرجل إلى صاحب السوق فإني أرتاب في أمره (يتقدم السوقي إلى الشاعر ويُمسك بذراعه) .

الشاعر : دعني يا هذا - (ينظر إلى المنظم) لماذا تأخذونني ولم أرتكب خطأ. إن من حقي أن أدخل السوق مثل جميع الناس .

السوقي : تعال معي أيها المشاغب - امض إلى صاحب السوق .

المنظم : انتظر . ماذا كنت تفعل قبل أن تأتي إلى

هنا أيها المجنون ؟

الشاعر : (يتنهد في أسى)

أشكو الزمـــان وأنسج الأحـــلامـــا
أســـتـــروح الأعطار والأنســـامـــا
لأزيل عن نفـسي الكئيـبـة مـا بهـا
وأبث وجـــداً يشـــحـــذ الأقـــلامـــا
كم بت أحـــمل ذي الهـــمـــومَ بكاهلي
فـــعـــلام أوصم بالجنون .. عـــلامـــا ؟!!

المنظم : تترك أعمالك وتنشغل بهذا الكلام الفارغ ثم تأتي إلى السوق لتنشره بين الناس حتى تصرفهم عن السعي إلى أرزاقهم ؟ أيها المجنون - اذهب به إلى صاحب السوق .

السوقي : (يجذب الشاعر من ذراعه) هيا .. امض معي .

المنظم : انتظر . فتش ملابسه أولاً .

السوقي : (يتحسس ملابس الشاعر) ليس معه شيء - هيا (ينصرفان) .

المشهد الثاني :

(صالة كبيرة مرتفعة أشبه بالفرندة - تطل على السوق - يجلس في مقدمتها رجل ضخم وقد اتكأ على أريكة وأمامه نرجيلة ، وحوله بعض التجار والأعيان - يدخل السوقي ومعه الشاعر ويتجهان إلى صاحب السوق) .

السوقي : سيدي هذا الرجل مشاغب طويل اللسان يزعم أنه جاء يبيع ويشتري . وبالتفتيش لم نجد معه نقوداً أو سلعاً فارتبنا في أمره .

(صاحب السوق - يشير إلى الشاعر - بعد أن ترك النرجيلة واعتدل في جلسته) .

صاحب السوق : تقدم .. من أنت وما عملك ؟

الشاعر : أنا ضمير الشعب ولسان المجتمع المعبر عن آماله . والحافظ لفنه وتراثه . أفجر نبع الأماني في الوجدان وأذكي فيه نار الحماسة . وأشعل الثورات عند الخطر .

صاحب السوق : تشعل الثورات ؟ إذن أنت معادٍ للنظام . الويل لك ! أنت تعترف أنك تحرض على الفتن .

الشاعر : إنني أرفض هذا الاتهام .. دعوني أذهب إلى السوق كي أبيع وأبتاع .

صاحب السوق : ماذا تبيع وتبتاع ولم نر معك شيئا من نقودٍ أو سلع ؟

الشاعر : أبيع الأماني والأحلام والحب والأمل ، إنني أبيع السعادة .

صاحب السوق : (ساخراً) تبيع السعادة .. ترى .. بكم كيلو السعادة يا فصيح زمانك ؟

الشاعر : السعادة لا تقدر بمال . فالمال دونها وإن كثر . والمال وسيلة وهي غاية ، بل إنها غاية الغايات .

صاحب السوق : دعك من هذا الهراء ، أتريد أن تتهرب من التسعيرة حتى تغالي في بضاعتك كما تريد .. ثم إنك لم تخبرني ما هويتك ومن تكون ؟

الشاعر : إنني شاعر فقير ، وهذه مشكلتي !

صاحب السوق : أي مشكلة تقصد ؟ أفصح .

الشاعر : مشكلتي أنني مفطور على البراءة ، أدعو إلى الأمل في زمان اليأس ، وأبحث عن النور في وسط الظلام ، وأنشر الحب في عصر الكراهية ، وأعشق الحق والخير والجمال ، وأناضل ضد الباطل والشر والقبح ، وسيلتي البلاغة في زمان الركاكة كي أوقظ الوجدان النائم ، والضمير الغافل ، والعقل الغائب حتى يعود إلى منابع الحياة ويرى جمالها .

صاحب السوق : أي جمال يا مجنون بعد كل ما قلت ؟ أرني أي جمال تتحدث عنه .

الشاعر : الجمال يا هذا موجود لأنه من صنع الخالق العليم ولكن الإنسان في هذا العصر لا يراه لأنه مشغول بصناعة الشر وعبادة المال .

ألا ترى هذا الجمال في زرقة البحر ، وخضرة الأرض ، وألوان الزهور ، وإشراقة الشمس ، وعذوبة النهر ، وبديع صنع السماء .

صاحب السوق : (ينظر حوله ثم ينظر إلى

السماء) .

الشاعر : هل جئتُ إلى السوق أم إلى المحكمة ؟

السوقي : المحكمة ! آه (يهمس في أذن صاحب السوق) سيدي أرسلْهُ إلى المحكمة ، فلعل قاضي القضاة يودعه السجن .

صاحب السوق : حسناً ، ولكن ما تهمته ؟!

السوقي : نقول : مثلاً .. مثلاً .. إنه جاء إلى السوق متطلعاً دون أن يبيع أو يشتري .

صاحب السوق : ربما جاء للاتفاق على صفقة مع أحد التجار .

السوقي : نقول : مثلاً .. مثلاً .. إنه كان يريد أن يبيع بضاعته المزعومة التي لا تُرى بأكثر من التسعيرة .

صاحب السوق : ولكننا لم نضع تسعيرة لهذا الصنف من البضائع حتى يلتزم به .

السوقي : نقول : مثلاً .. مثلاً .. إنه كان غارقاً في الخيال والأوهام .

صاحب السوق : لا يوجد نص في القانون يعاقب الناس على خيالهم وأوهامهم .

السوقي : (يفكر مغتاظاً) سيدي .. من يدرينا أنه شاعر ، ربما كان مدعياً لماذا لا تختبره ؟

صاحب السوق : حسناً .. سأختبره . اسمع أيها الرجل ، ألست تزعم أنك شاعر ؟

الشاعر : يا هذا أنا .. شاعر بالفعل ، ولقد وهبني الله القدرة على التعبير عن مشاعري ومشاعر غيري ، ولقد ولدت شاعراً ، وأقول الشعر فطرة ثم اكتساباً وإبداعاً ثم ابتداعاً .

صاحب السوق : إذن سنرى ، ماذا تقول شعراً في هذه السوق ، وما بها من ناس ؟

الشاعر : (يطل على السوق من إحدى نوافذ الصالة ، ثم يعود ويتجه لصاحب السوق) :

السوق قد ملئت بالناس كالحشر
والناس داخلها من مطلع الفجرِ
أوقاتهم شُغلت بالربح والسعرِ

من واقف يقظ أو قادم يجري
يدعو لسلعته في البيع - أو يشري
دنيا وساكنها دوما على سفرِ

صاحب السوق : رغم أنني لم أفهم شيئاً ، ولكن يبدو أنه كلام جميل وله وقع خاص .

السوقي : (يهمس في أذن صاحب السوق) سيدي اجعله يسطر لك هذا الكلام في لوحة لتزين بها هذا البهو في مدخل السوق كي يراها الزائرون ، فلقد رأيت بعض الوجهاء ممن عملتُ بخدمتهم يفعلون ذلك .

صاحب السوق : حسنا حسناً ، معك حق ، سأفعل ذلك . يلتفت إلى الشاعر) اسمع أيها الشاعر ، يبدو أنك رجل طيب ، ولذا سوف أشتري بعضاً من بضاعتك رفقاً بحالك ، فبكم تبيع هذا الكلام الذي قلته .. أقصد هذا الشعر الذي قلته ؟

الشاعر : الشعر يا هذا لا يباع ولا يشترى ، ولكن يفهم ويحس ثم ..!!!

صاحب السوق : ثم ماذا ؟

الشاعر : ثم يُقدّر حق قَدْره .

صاحب السوق : يُفهَم .. ويُحس .. كيف ؟ لا عليك ، سأقدر شعرك ، وسأدفع لك اثنتين أو ثلاثة .. لا لا .. سأدفع لك خمسة شلنات كاملة .

الشاعر : اصمت يا رجل ، مالك أنت والشعر حتى تقدره ؟ إنني أريد مكافأة أعظم .

صاحب السوق : يا لك من طماع وتدعي أنك رجل طيب . اذكر السعر الذي تريده .

الشاعر: لا .. لا .. لن أبيع شعري مطلقاً ، ولكني فقط سأتنازل لك عنه مقابل خدمة بسيطة .

صاحب السوق : ما هي الخدمة التي تريدها ، وسوف أؤديها لك فوراً ؟

الشاعر : أعرفُ أن لك جاها ودلالاً في هذا البلد ، فأرسل بي إلى من يهمه أمر الشعر ، فلقد ضللت الطريق ، وغلّقت دوني الأبواب ، وبُحّ صوتي دون أن يصل إليه .

صاحب السوق : سوف أرسلك إلى زعيم المثقفين ، إنه صديقي . ويزعم أنه يفهم جيداً كلام الشعراء والأدباء ، ولقد أديت له خدمات كثيرة ، وأعتقد أنه لن يرفض لي طلبا (يلتفت إلى السوقي) يا غلام : أحضر العربة كي تذهب ومعك الشاعر إلى زعيم المثقفين (يرفع الشاعر يده بالتحية وينصرف برفقة السوقي)

المشهد الثالث :

(مكتب أنيق فخم يجلس أمامه حاجب يقوم وينحني للداخل والخارج ، ويجلس زعيم المثقفين في صدر المجلس وعلى يمينه ويساره بعض المستشارين ، ينظر إلى الباب ويرقب الداخلين وهو يمسك سماعة الهاتف)

الزعيم : نعم لقد وصل - بمشيئة الله - أي خدمة (يضع السماعة) .

الشاعر : (يدخل) السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الزعيم : يقف (مسلماً على الشاعر) وعليكم السلام .. تفضل (يشير إليه) أأنت الشاعر نفسه الذي أرسله صاحب السوق ؟

الشاعر : نعم ، أنا الشاعر نفسه وذاته وعينه وكله وجميعه !!

الزعيم : (ضاحكاً) تريد أن تستعرض فصاحتك ، حسنا .. حسناً .. لقد علمت بمشكلتك من صديقي وها أنا ذا أمامك ، فماذا تريد مني ؟

الشاعر : أريد أن تصل أشعاري إلى من يتولى أمر القريض وأهله .

الزعيم : عظيم .. هيا .. أسمعنا أشعارك حتى تصل إلينا .

الشاعر : ماذا تحب أن تسمع ؟

الزعيم : انظر من هذه النافذة ، وسترى حديقة جميلة تحيط بالمكتب ، وأرسل بصرك بين الخمائل وقل لي ماذا ترى ؟

(الشاعر يتقدم إلى النافذة ، وينظر بين الخمائل والأشجار متفحصاً كل ما في البستان وهو في حالة تأمل حالم)

الزعيم : ماذا رأيت بين الخمائل أيها الشاعر ؟

الشاعر : (يتجه نحو الجالسين)

بين الخمائل كم أرى
زهرا جميلا باسما
أو برعما في غفوة
حاكى وليدا نائما
والغصن مال مهللا
حيّا نسيما قادما
أوراقهُ ذاتُ الندى
خضراء تزهو دائما
وحفيفُهُ لما علا
جاب الربا مترنّما
والعشب هام مناجيا
وردا رقيقاً حالما
وبدا الفراش مرقشّاً
للنور يهفو هائما
والطير يشدو راقصاً
بالحسن صبّا مغرما
ذا جدول " مترقرق "
يسري شفيفا حالما
قد شاقه همس الشذا
في خلسةٍ - متكتما